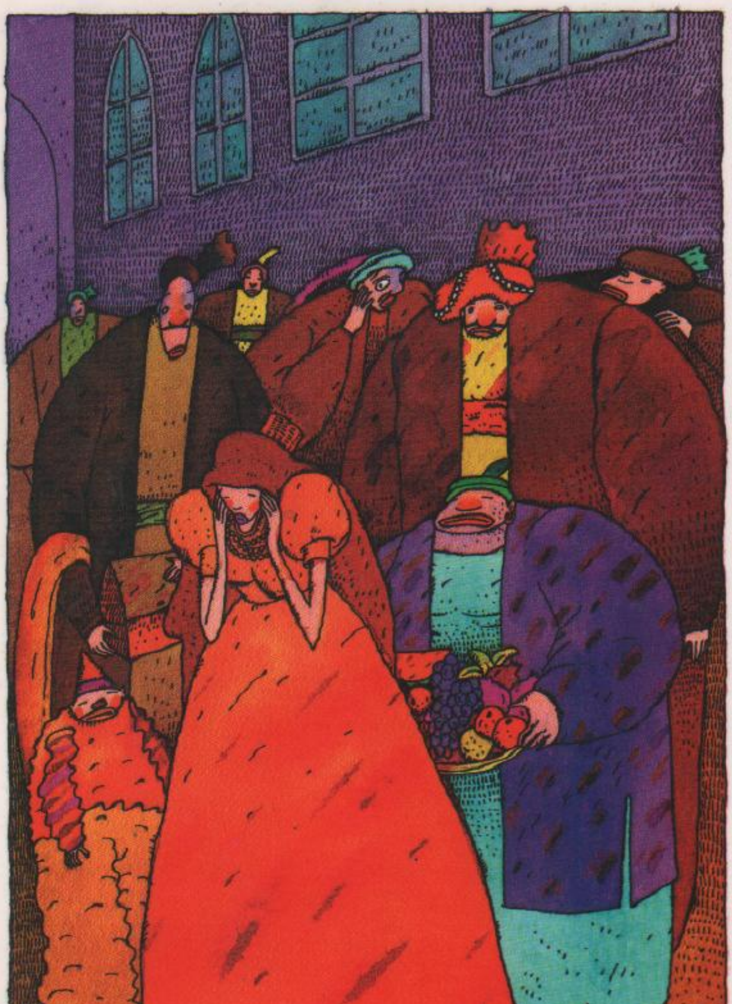
الأميرة والشاعر

قصة: د. عبد الوهاب المسيري

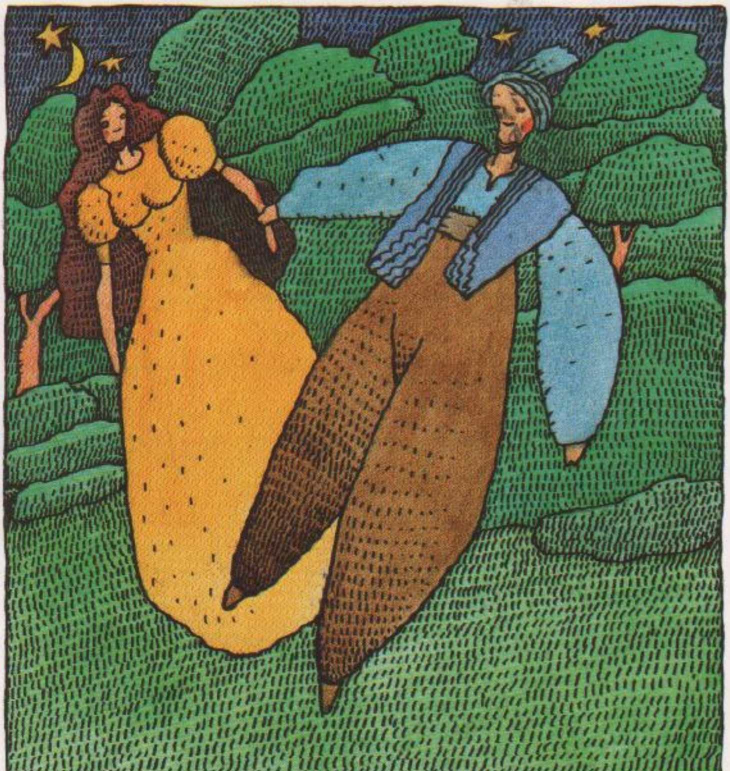
رسوم: عمّار سلمان



الأميرة والشاعر

قصة: د. عبد الوهاب المسيري

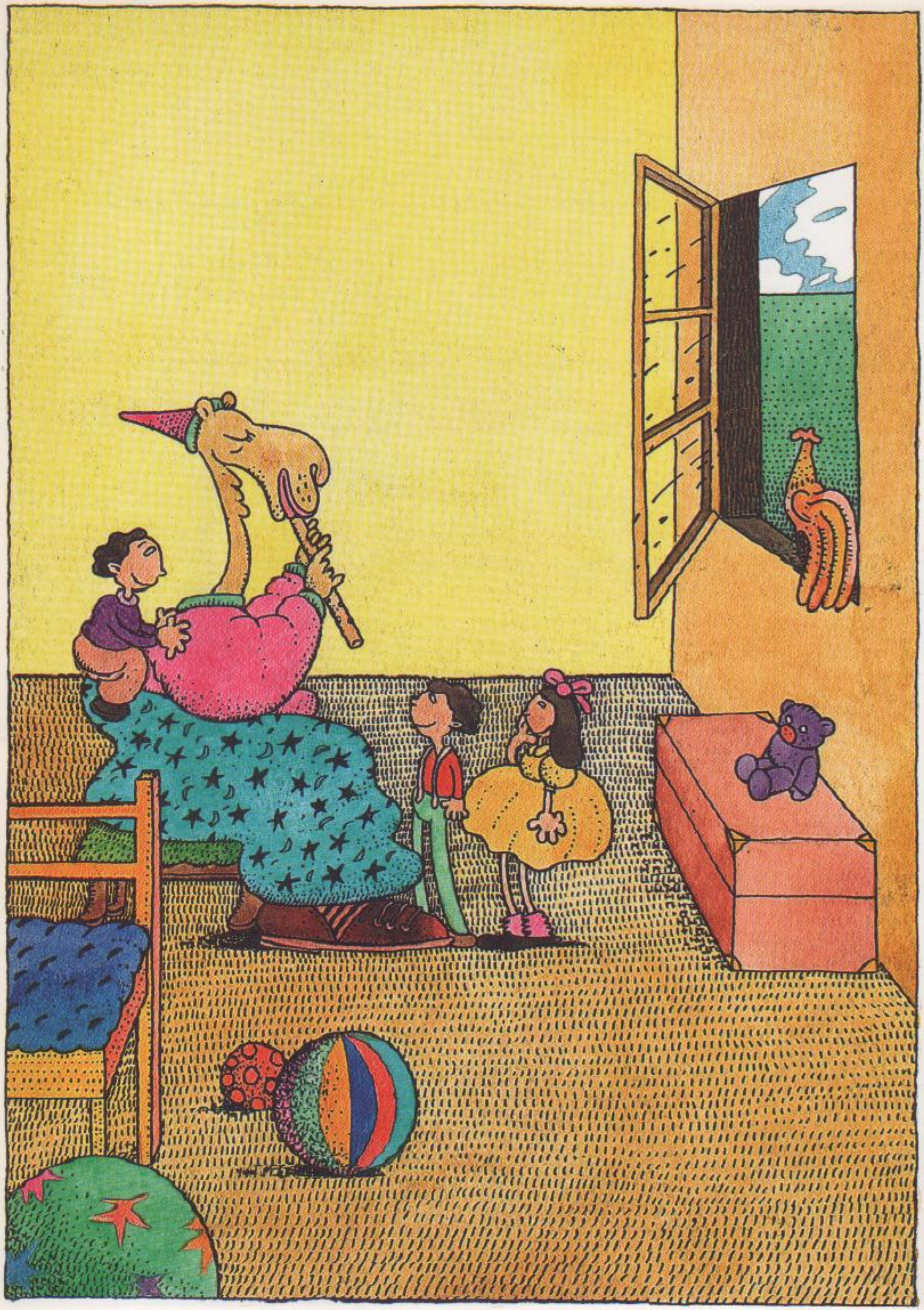
رسوم: عمّار سلمان



دار الفتى العربي
للنشر والتوزيع

كَانَ الـدِّيـك «حَسَنٌ» يَقِفُ عَلَى حَافَةِ الـنَّافذَة؛ يَنْظُرُ إلَى سَحَابَة شَكْلُهَا عَجِيـــبٌ. وَجَلَس الأَطْفَالُ؛ «يَاســرٌ» وَ «نُورٌ» وَ «ظَرِيـفٌ»، فِي وَسْطِ الغُرْفَة. قَالُوا بِـصَوْت وَاحِد: "«لَطِيـفٌ»؛ نُرِيـدُ قِصَّةً جَمِيـلَةً؛ قِصَّةً لَمْ نَسْمَعْهَا مِنْ قَبْلُ. نُرِيدُ قِصَّةً يَا «لَطِيفُ»".

ابْتَسَمَ الجَمَلُ «لَطِيـفٌ»، وبَدَأَ يَعْزِفُ عَلَى الـنَّاي، ثُمَّ قَالَ: " كَانَ يَامَا كَانَ؛ فِـي سَالِفِ الْعَصْرِ والأوان: أنْ جَلَست الأميرةُ الْجَميلةُ وَحِيدَةً حَزِينَةً في قَصْرِهَا الْعَالِي. وَحِينَمَا رَأت الـنُّجُومَ في السَّمـــاء تَحَدَّثَتْ إلَيْها، لَكِنَّ النُّجُومَ -يَا أَطْفَالُ- لَمْ تُجِبْهَا. فَاسْتَدارَتِ الأَمِيرةُ وَحَدَّثَتِ الْقَمَرَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهَا.



فَقَالَت: " غداً سَتَبْزُغُ الشَّمْسُ وَسَأَتَحَدَّثُ مَعَها". لَكِنَّ الشَّمْسَ هيَ الأُخْرَى لَمْ تَفْتَحْ فَمَها.

تَحـيَّرَت الأمـيـرَةُ وَنَظَرَتْ حولَها؛ فَرأَتْ شَجَرةً كَبـيـرَةً تَدَلَّتْ أَغْصَانُهـا؛ فَنَادَتْهـا، وَلَكِنَّ الشَّجَرَةَ الْكَبِيـرَةَ ظَلَّتْ صَامِتَةً. فَقَالَت الأمِيـرَةُ: " سَأَتَحَدَّثُ -إِذَنْ- مَعَ الشَّجَرَةِ الصَّغِيـرة؛ فَهِيَ في مِثْلِ سِنِّي"، لَكِنْ حَتَّى الشَّجَرَةُ الصَّغِيرةُ لَمْ تَنْطِقْ بِحَرفٍ.

- "الطَّاوُوسُ هُوَ الَّذي سَيَتَحَدَّثُ مَعي بِلا شَكٍّ"؛ قَالَت الأمِيـرةُ. وَلَكنَّهُ نَظَرَ إِلَيْهـا، وَبَسَطَ رِيشَ ذَيْلِه، ثُمَّ سَارَ. حِينَئِذٍ انْخَرَطَتِ الأمِيرةُ في الْبُكَاء".

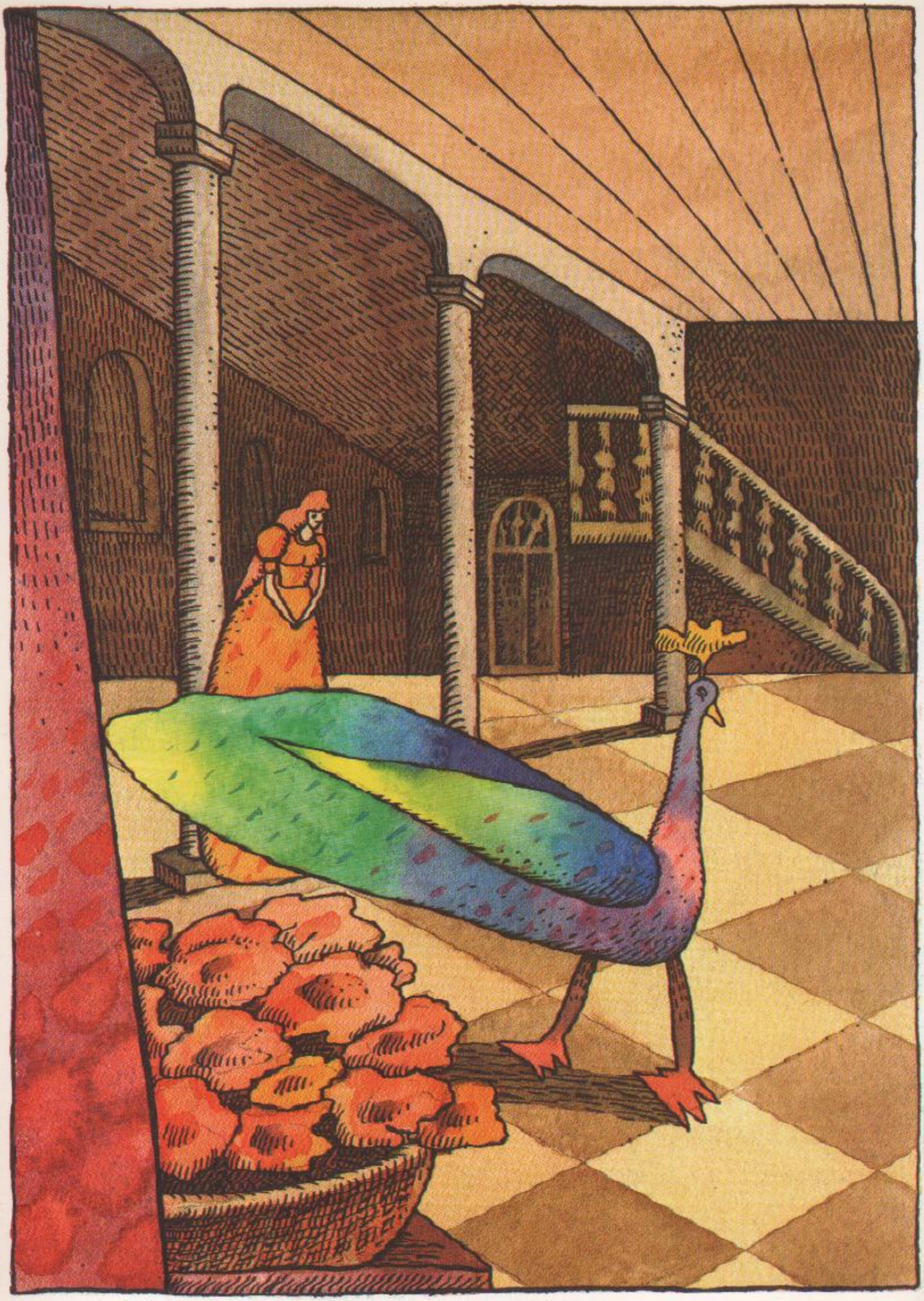
عَزَفَ «لَطِيـفٌ» عَلَى الـنَّاي، ثُمَّ سَأَلَ الأطْفَالَ: "هَل تُعْجِبُكُمُ الْقِصَّةُ؟". فَقَالُوا جَمِيـعًا: "إِنَّهَا قِصَّةٌ جَميلَةٌ بِالْفِعل، ولَكِنَّنَا نَوَدُّ أَنْ نَعْرِفَ الْبَقِيَّةَ".



قَالَ «لَطيفُ»: "أحْضَرَ الْمَلكُ لابْنَته الأميرةَ أشْهَى الأطْعمَة، وكُلَّ أصنَاف الْفَوَاكه؛ حَتَّى تَكُفَّ عَنِ الْبُكَاء، ولَكنَّ الأميرةَ ظَلَّتْ تَبْكي وتَقُولُ: "لمَ لا تُحَدِّثُني النُّجُومُ والْقَمَرُ؟ ولمَاذا لَمْ تُجبْني الشَّمْسُ والشَّجَرةُ الْكَبيرةُ والشَّجَرَةُ الصَّغيرةُ؟ ولمَ سَار الطَّاوُوسُ بَعيداً عَنِّي؟".

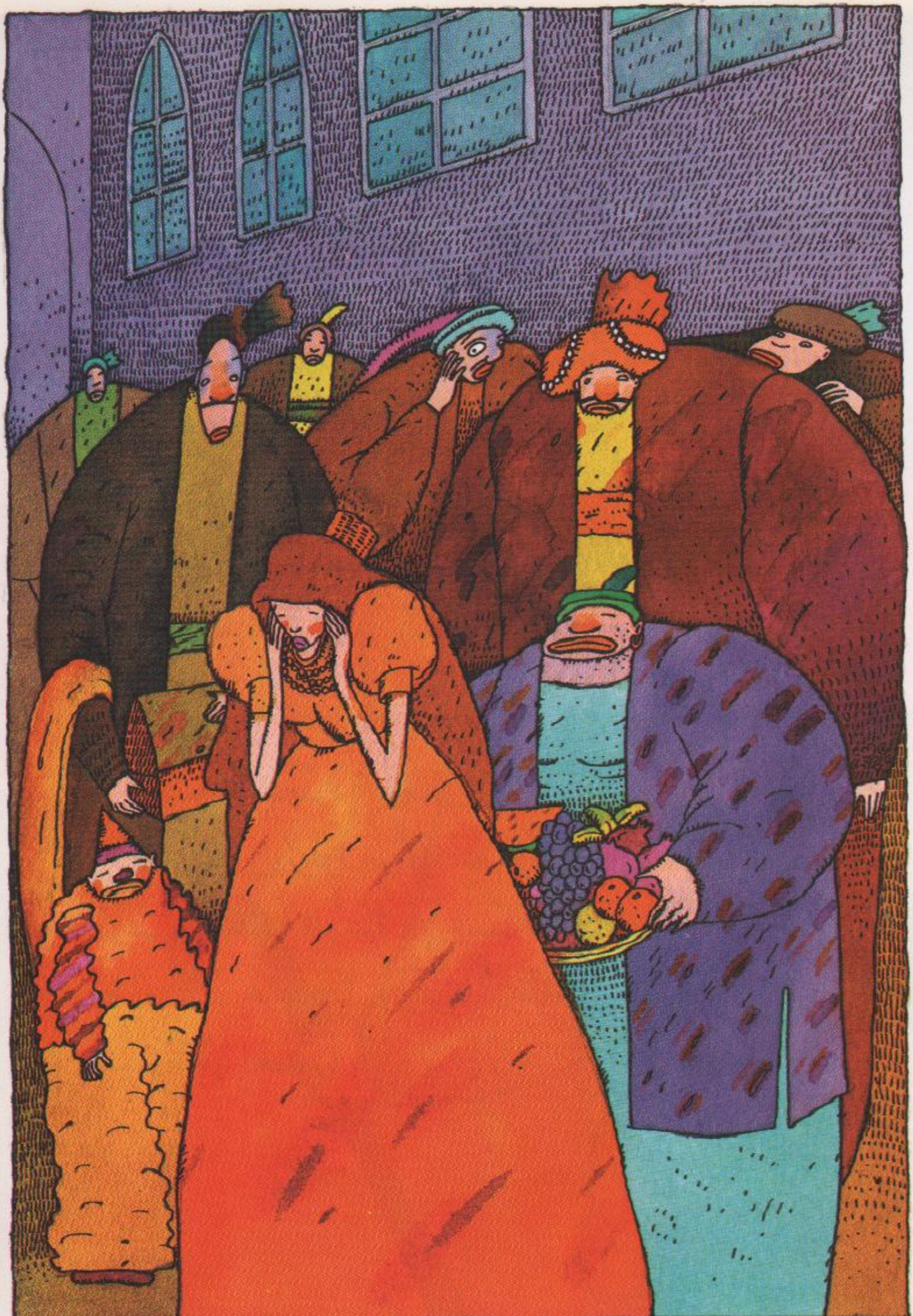
فَقَالَت الْحَاشيَةُ: "مَا سرُّ هَذه الْكَلمَات الَّتي لا مَعْنَى لَهَا؛ لَعَلَّ الأميرةَ تُريدُ ثيَابًا جَديدَةً؟". فَأحْضَرُوا لَهَا أغْلَى الثِّيَاب والْجواهر، لَكنَّ بُكَاءَ الأميرة لَمْ يَتَوقَّفْ.

وَأحْضَرُوا لَهَا أمْهَرَ الأطبَّاء، لَكنَّهُمْ لَمْ يَعْرفُوا سرَّ بُكَائهَا ولا مَعْنَى كَلمَاتهَا".



حِينَئـــذٍ؛ عَزَفَ الْجَمَلُ "لطيفٌ" عَلَى النَّاي، ثُمَّ سَأَلَ الأَطْفَالَ عَنْ رأْيهِمْ فـــي قصَّته. قَالَ كُلُّ الأَطْفَال: "يَا "لَطيفُ" افْعَلْ شَيْئًا بِسُرْعَةٍ مِنْ أَجْلِ الأَمِيرةِ؛ حَتَّى تَكُفَّ عَنِ الْبُكَاء".

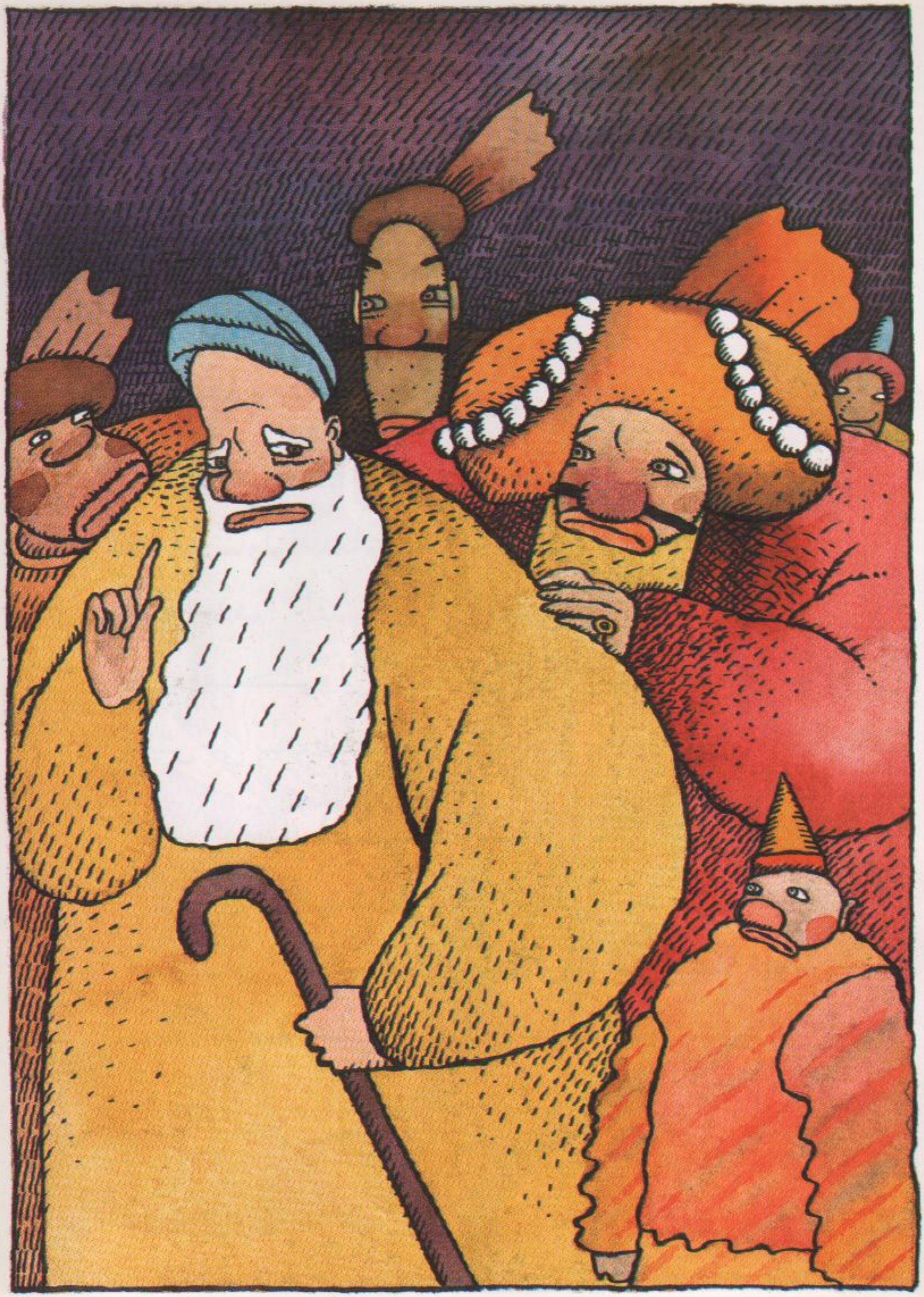
فَاسْتَطْرَدَ قَائـــلاً: "جَاءَ رَجُلٌ حَكيـــمٌ مِنْ آخرِ الْمَمْلَكَة، وقَالَ للْمَلك: "سَيِّدي أَنَا أَعْرِفُ شَيْئـــاً عَنْ مَرَضِ الأَميـــرة". فَقَالَ الْمَلكُ: إِنْ شَفَيْتَهَا؛ أَعْطَيْتُكَ كُلَّ مَا تُريـــدُ مِنْ ذَهَبٍ وَفُضَّة"، فَقَالَ: "حَاشَا لـــلّه! أَنَا لا أُريدُ لِنَفْسِي شَيْئًا، لَكنَّني أَعْرِفُ أَنَّ الأَميـــرَةَ إِنْ ذَهَبَتْ لِلْشَّاعرِ؛ فَقَدْ يَفْهَمُ مَعْنَى مَا تَقُولُ؛ فَنَعْرِفُ سرَّ الـــدَّاء". فَقَالَ الْملكُ: "لمَنْ؟". قَالَ: "الـــشَّاعرِ؛ فَهُوَ وَحْدَهُ الَّذي يُمْكنُهُ أَنْ يَتَحَدَّثَ مَعَ الـــنُّجُومِ، والْقمَرِ، والشَّمْسِ، والشَّجرةِ الْكَبِيـــرَةِ، والْشَّجَرَةِ الصَّغيـــرَةِ، والطَّاوُوس".



ـ "لَطيفُ"؛ "لَطيفُ"؛ لِمَ لا تُسْرِعُ بَعْضَ الشَّيْءِ حَتَّى تَكُفَّ أمِيرتُنا عَنِ الْبُكَاءِ؛ فَنَحْنُ حَزَانَى مِنْ أجْلِها؟!".

قَالَ "لطيفُ": "رَحَّبَ الْمَلكُ بالْفكْرَة، وأَمَرَ جُنُودَهُ بالْبَحْث عَنِ الشَّاعر؛ فَذَهَبُوا أوَّلَ مَا ذَهَبُوا إِلَى وادٍ أَخْضَرَ جَميلٍ؛ تُغَرِّدُ الطُّيُورُ عَلَى أشْجَاره. وَسَألُوا الْمُزَارِعِينَ عَنِ الشَّاعرِ؛ فَقَالُوا لَهُمْ: "نَعَمْ نَعْرِفُهُ؛ فَقَدْ عَاشَ بَيْنَنَا عدَّةَ شُهُورٍ يَتَعَلَّمُ لُغَةَ الطُّيُورِ. لَكنَّنَا رَأيْنَاهُ يَصْعَدُ الْجَبَلَ".

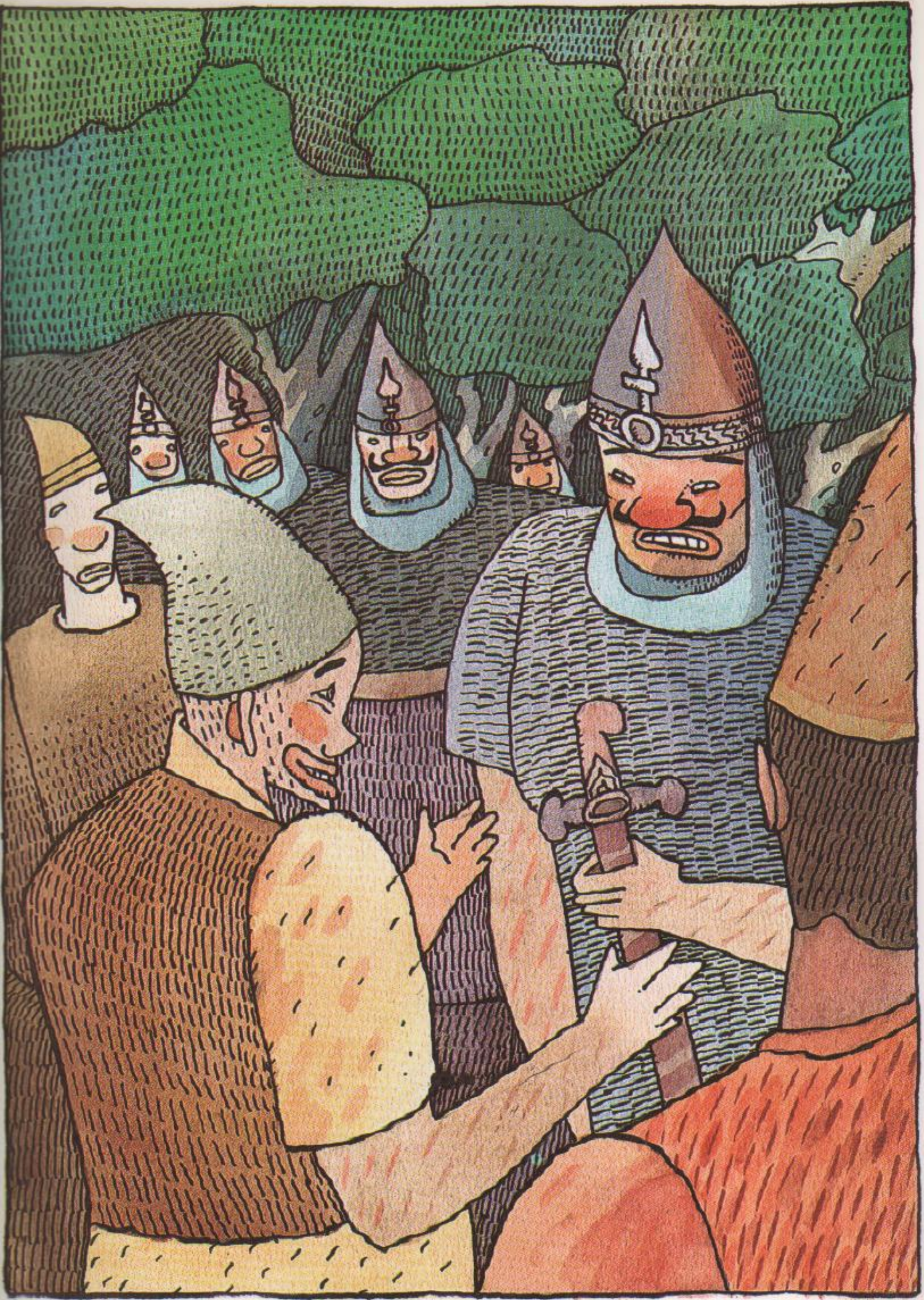
صَعدَ الْجُنُودُ الْجَبَلَ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى قمَّته الثَّلْجيَّة، وَنَزَلُوا منْ حَافَته الأُخْرَى، وَوَجَدُوا أغْنَامًا تَرْعَى، فَسَألُوا الرُّعَاةَ عَنِ الشَّاعرِ، فَأجَابُوا: "نَعَمْ؛ نَعَمْ؛ لَقَدْ جَاءَ هُنَا وَرَعَى الأغْنَامَ مَعَنَا، ثُمَّ رَأيْنَاهُ يَسيرُ نَحْوَ الصَّحْرَاءِ".



وَحِينَمَا وَصَلَ الْجُنُودُ إِلَى الصَّحْرَاءِ؛ وَجَدُوا الْبَدْوَ يَجْلِسُونَ بِجِوَارِ بِئْرِ مَاءٍ يَصْنَعُونَ الْخِيَامَ والسَّجَاجِيدَ، فَسَأَلُوهُمْ عَنِ الشَّاعِرِ؛ فَقَالُوا لَهُمْ: "لَقَدْ بَقِيَ هُنَا بَعْضَ الْوَقْتِ، وَتَعَلَّمَ مِنَّا أَسْرَارَ الصَّحْرَاءِ وَالنُّجُومِ وصُنْعَ السَّجَاجِيدِ، وَذَهَبَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْغَابَةِ".

وَفِي الْغَابَةِ؛ وَجَدُوا جَمَاعَةً مِنَ الْحَطَّابِينَ يُغَنُّونَ بَعْدَ أَنْ تَنَاوَلُوا طَعَامَ الْغَدَاءِ، فَسَأَلُوا عَنِ الشَّاعِرِ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: "لَقَدْ عَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ؛ حِينَمَا سَمِعَ بِأَنَّ هُنَاكَ أَمِيرَةً لا تَكُفُّ عَنِ الْبُكَاءِ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ يَعِيشُ فِي بَيْتٍ أَخْضَرَ بِلَوْنِ الْعُشْبِ".

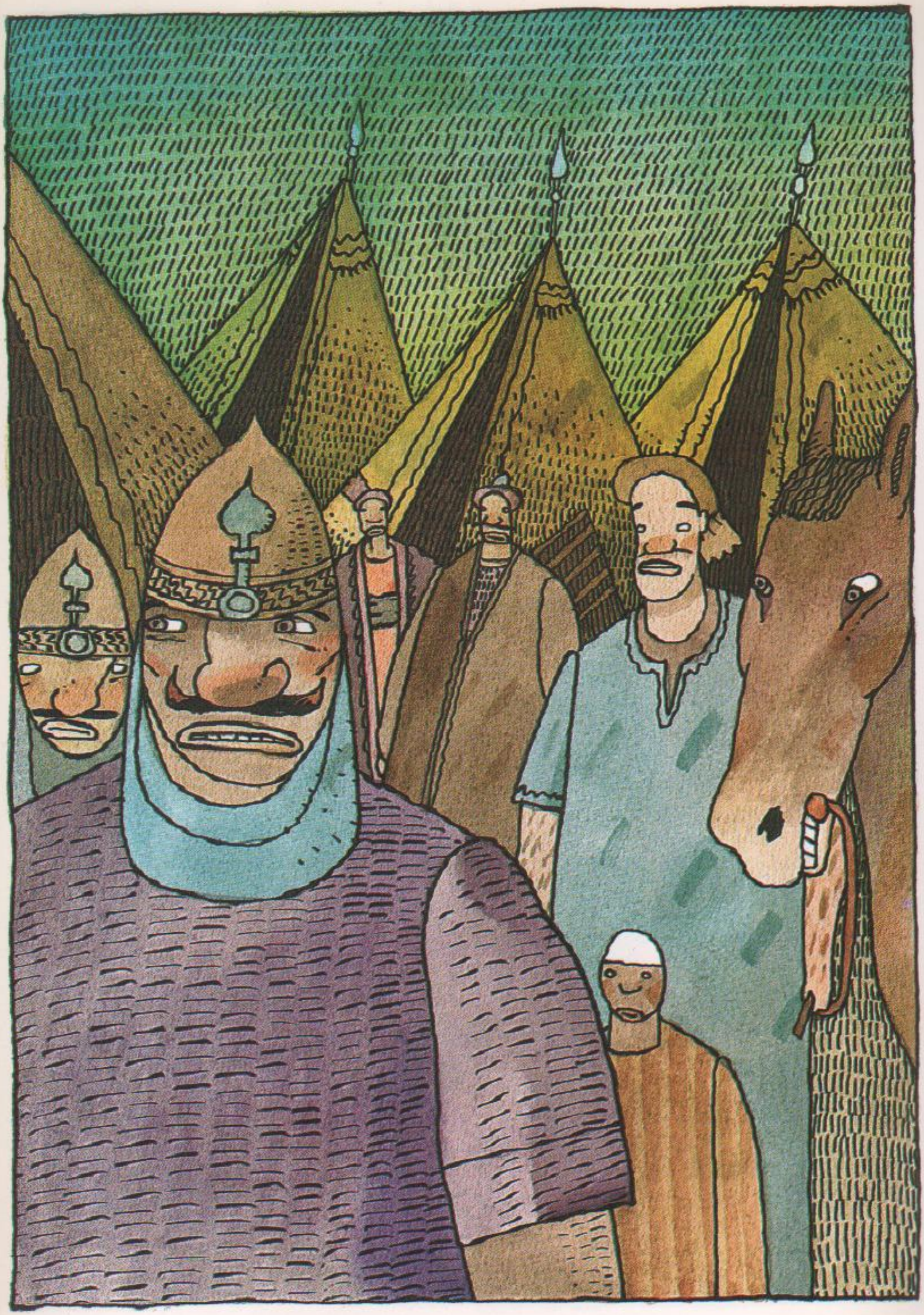
ـ "قِصَّتُكَ لَطِيفَةٌ يَا "لَطِيفُ"، لَكِنَّ الأَمِيرَةَ لا تَزَالُ تَبْكِي. والشَّاعِرُ؛ هَلْ سَيَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ أَجْلِهَا؟ "لَطِيفُ"؛ اعزِفْ عَلَى النَّايِ، وَقُصَّ عَلَيْنَا نِهَايَةً سَعِيدَةً لِلْقِصَّةِ؛ حَتَّى نَحْلُمَ أَحْلامًا سَعِيدَةً".



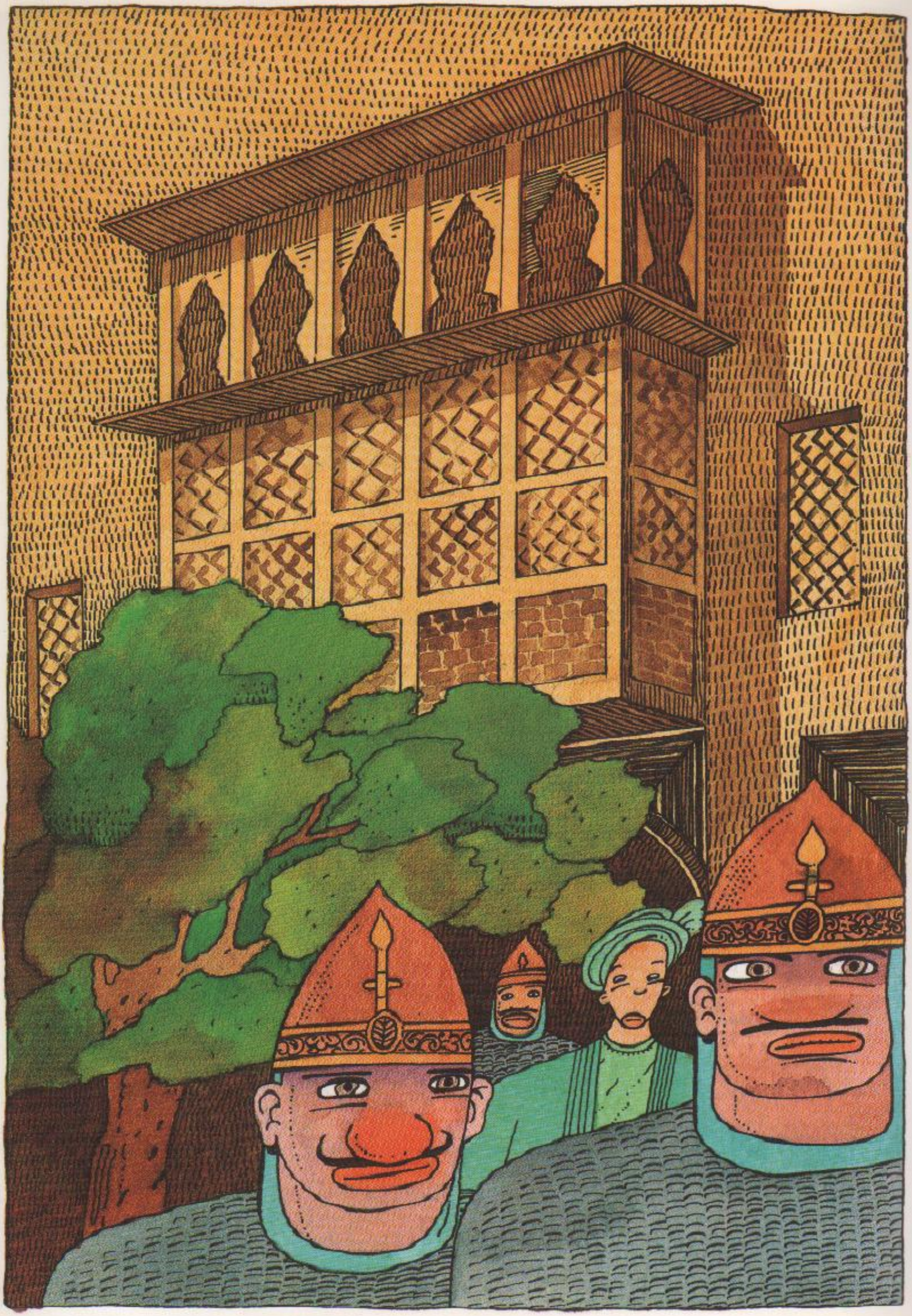
قَالَ "لَطِيــــفٌ": "عَادَ الْجُنُودُ، وَفَتَّشُوا في كُلِّ مَكَانٍ. وَعِنْدَ الْغُرُوب؛ رَأَوْا -عَنْ بُعْدٍ- بَيْتــاً أَخْضَرَ عَلَى حُدُود الْمَدِينَةَ. كَانَ الْبَيْتُ عَلَى الـطِّرَاز الْعَرَبِيِّ؛ شَبَابِيكُهُ مُرْتَفِعَـــةٌ مُغَطَّاةٌ بِالْمَشْرَبِيَّات وكُتِبَ عَلَى بَوَّابَته بخَطٍّ جَمِيلٍ: (ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمنِينَ). وَوَجَدُوا الــشَّاعِرَ بجِوَار الْبَيْت يُصْلِحُ حَوائطَهُ؛ فَطَلَبُوا إلَيْه أنْ يَذْهَبَ مَعَهُمْ لِلْمَلِكِ؛ فَعَرَفَ أنَّ الْوَقْتَ قَدْ حَانَ لِيَرَى الأَمِيرَةَ الْحَزِينَةَ.

فُتِحَتْ بَوَّابَاتُ الْقَصْرِ الــــوَاحِدَةُ بَعْدَ الأخْرَى. وَحِيـــنَمَا فُتِحَتْ بَوابَةُ قَاعَةِ الْعَرْشِ؛ رأى الـــشَّاعِرُ الأَمِيـــرَةَ الْحَزِينَةَ، فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَى الْجَمِيعِ، وأنْشَدَ يَقُولُ:

"حِينَمَا تَحَدَّثْتُ مَعَك
أَيَّتُهَا النُّجُومُ الْمُتَلألِئَةُ؛
لَمْ تُجِيبِينِي؛
وَلَمْ يُجِبْنِي الْقَمَرُ أوِ الشَّمْسُ،

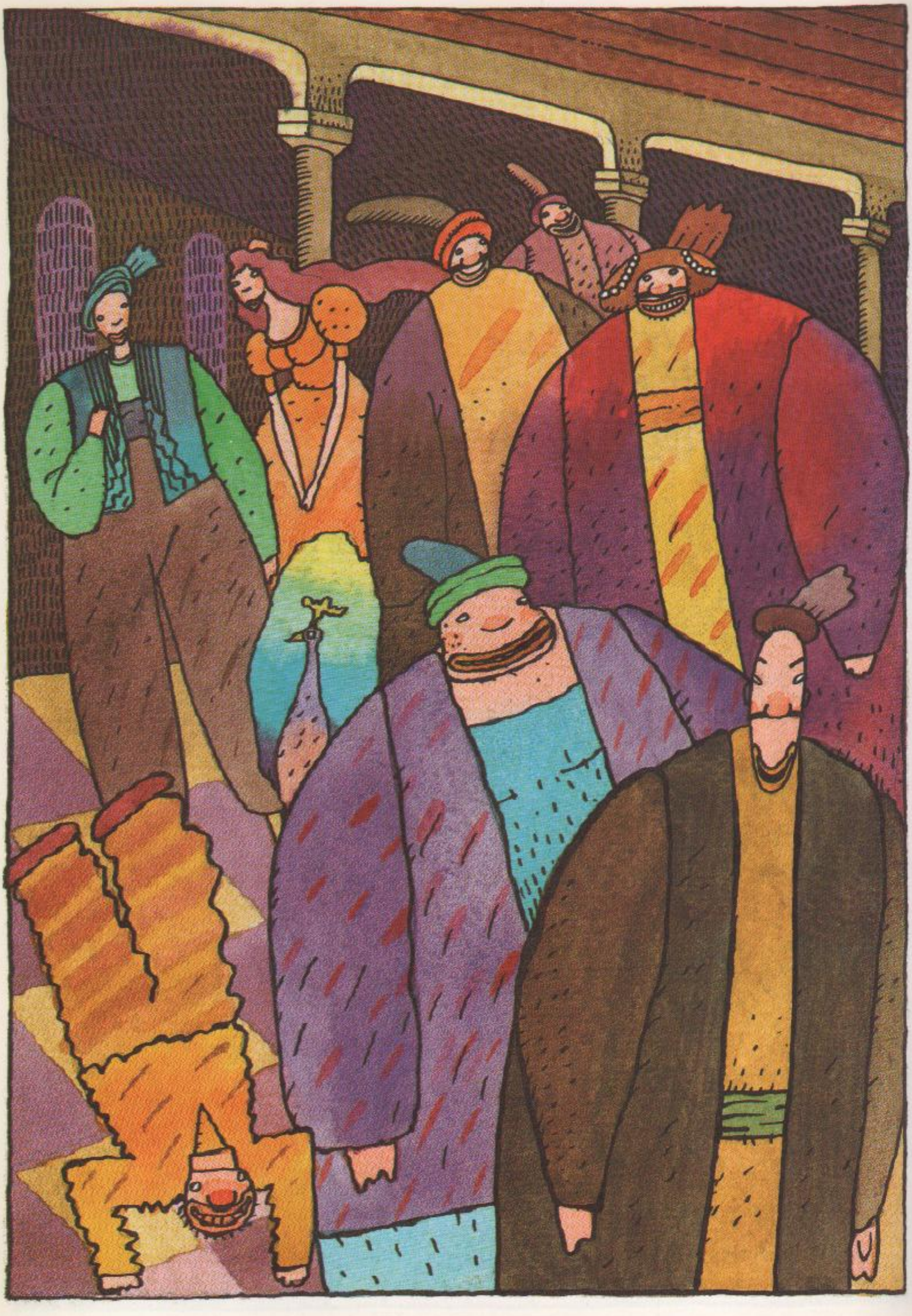


والشَّجَرةُ الْكَبِيـــرةُ ذَاتُ الأغْصَانِ السَّامِقَةِ لَمْ تَرُدَّ عَليَّ،
وأنْت؛ أيَّتُهَا الشَّجَرةُ الصَّغِيرةُ الصَّغِيرة؛
يَا أخْتِي!
لِمَ لَمْ تَتَحَدَّثي مَعي؟
حَتَّى أنْتَ أيُّهَا الطَّاوُوسُ الْمَلَكِيُّ،
لِمَ لَمْ تَقُلْ لِي شَيْئًا؟
هَكَذَا؛ كَانَتْ تَبْكِي الأميرَةُ؛ لَيْلَ نَهار.
لَكنَّهَا؛ سَمعَتْ صَوْتًا جَمِيلاً رَائِعًا
يَهْمِسُ فِي صَدْرِهَا:
السَّمَاءُ منْ حَوْلِك وَفِي قَلْبِك
والزُّهُورُ الْجَمِيلَةُ فِي الْحَدِيقَةِ والْخَيَالِ
حَفِيفُ أوْرَاقِ الأشْجَارِ
وَصِيَاحُ الطَّاوُوسِ
وَالنُّجُومُ السَّابحَةُ
والشَّمْسُ والْقَمَرُ كُلُّهَا تَتَحَدَّثُ بِلُغَتِهَا".



تَوَقَّفَت الأميـــــــرةُ عَنِ الْبُكَاء، ثُمَّ ابْتَسَمَتْ وَضَحِكَتْ، وَضَحِكَ الْمَلِكُ، ثُمَّ ضَحِكَت الْمَلِكَةُ، وَضَحِكَ الْجُنُودُ، ثُمَّ ضَحِكَ كُلُّ أَهْلِ الْمَمْلَكَة، وَضَحِكَت الأشْجَارُ والـــــــنُّجُوم، ثُمَّ ضَحِكَ الْقَمَرُ والشَّمْسُ، حَتَّى الطَّاوُوسُ الْمَلَكِيُّ؛ فَقَدْ لاحَظَ الْجَميعُ أَنَّهُ كَانَ سَعِيـــــــداً هُوَ الآخَرُ؛ وَهُوَ يَمْشِي مِشْيَتَهُ الْمُتَعَجْرِفَةَ".

وَضَحِكَت "نُورٌ"، ثُمَّ ضَحِكَ "يَاسِرٌ" وَ"ظَرِيفٌ"، وَعَزَفَ "لَطِيفٌ" عَلَى النَّاي، وَقَالَ: "حينَئذ، قَالَ الْمَلِكُ للـــشَّاعِر: "أَنْتَ لَمْ تَعْرِف الــدَّاءَ وَحَسْبُ؛ بَلْ وَجِئْتَ بالدَّواء. سُبْحَانَ اللَّه الَّذي شَفَى الأميــرةَ عَلَى يَدَيْك. أَنَا لَنْ أعــطيــكَ ذَهَبًا وفضَّةً فَقَط؛ بَلْ سأزَوِّجُكَ ابْنَتي الأميـــــرَةَ". فَقَالَ الشَّاعِرُ: "أشْكُرُكَ يَا مَولايَ عَلَى هَدِيَّتكَ وَعَلَى كَرَمِكَ، لَكِنْ ألا يَنْبَغِي أنْ نَعْرِفَ رأيَ الأميــــرة؟". فَقَالَ الْمَلِكُ: "عَجِيبٌ هُوَ أمْرُكَ، وَلَكِنْ فَلْنَسْأَلِ الأميرةَ".



فَقَالَت الأميرَةُ: "أشْكُرُكَ يَا أبِي، وَأشْكُرُ الشَّاعرَ الَّذِي عَلَّمَنِي الْكَثيـــرَ. لَكِّنِي أرْجُو أنْ تُعْطُونِي مُهْلَةً لأفَكِّرَ فِي هَذَا الأمْرِ بَعْضَ الْوَقْتِ. كَمَا أنَّنِي أوَدُّ أنْ أنْهِي دِرَاسَتِي الْجَامِعِيَّةَ أوَّلاً".

ضَحكَ الأطْفَالُ وَقَالُوا: "لَطيـفٌ"؛ هَذه نهَايَةٌ غَيْرُ حَقيــقيَّة؛ لأنَّهَا غَيْرُ سَعيــدَة. لا بُدَّ وَأنَّكَ أنْتَ الَّذي ألَّفْتَهَا وَوَلَّفْتهَا، فَدَائمًا مَنْ يَشْفِ الأميــرةَ يَتَزَوَّجْهَا؛ خَاصَّةً إذَا أرَادَ الْملِكُ ذَلِكَ".



فَقَالَ "لَطِيــفٌ": "هَكَذَا كَانَ الأمْرُ فِي الْمَاضِي يَا أعِزَّائِي، وَلَكِنَّ الأيَّامَ قَدْ تَغَيَّرَتْ، وَأصْبَحَت الأمُورُ مُخْتَلِفَةً بَعْضَ الــشَّيْء. وَعَلـــى كُلٍّ؛ اسْتَمِعُوا يَا أصْدِقَائِي الأعِزَّاء: فَبَعْدَ عَامَيْنِ؛ تَخَرَّجَت الأمِيــرَةُ فِي الْجَامِعَة، وَحَصَلَتْ عَلَى اللِّيـــــسَانْس فِي الآدَاب. حِيــنَئِذٍ؛ فَكَّرَتْ فِي الزَّوَاجِ مِنَ الشَّاعِرِ؛ فَأخْبَرَتْ أبَاهَا الْمَلِكَ؛ فَأعْجِبَ بِهَا، وَوَافَقَ عَلَى طَلَبِهَا وَعُقِدَت الأفْرَاحُ، وَأقِيـمَت اللَّيَالِي الْمِلاحُ، وَسُبْحَانَ الَّذِي يَفْتَحُ بِلا مِفْتَاحٍ. هَلْ تُعْجِبُكُمْ هَذِهِ النِّهَايَةُ السَّعِيدَةُ؟".

قَالَ الـدِّيـكُ حَسَنٌ: "كُو كُو كُو". وارْتَسَمَتْ عَلَى وَجْهِ الأطْفَالِ ابْتِسَامَةٌ كَبِيرَةٌ.



كتب الشمس

سلسلة تقدم اللوحات الفنية الرقيقة التي تصور الأطفال وعلاقتهم بالطبيعة من حولهم وما فيها من حركة وحياة ومشاعر، وتحبب الطفل في الجمال والعمل والحلم والشجاعة والامل.

صدر منها:

١- الصبي والشمس
٢- زهرة القمر
٣- خبز الصغار
٤- العصافير تغني
٥- قمع السكر المغرور
٦- الأميرة والشاعر
٧- الطيور البيضاء

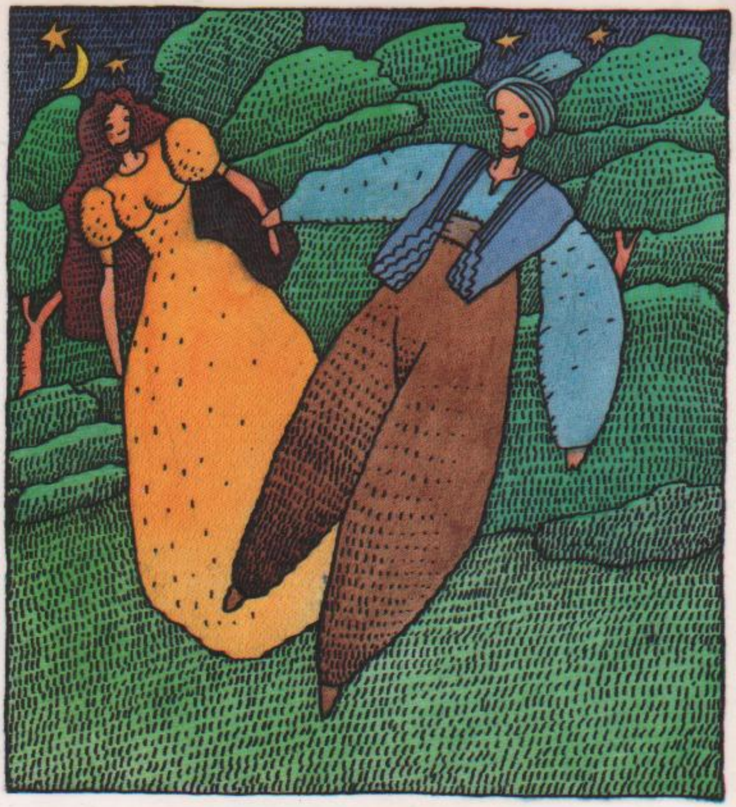
دار الفتى العربي

١٩٩٣، الطبعة الاولى

القاهرة: ٩ ش مديرية التحرير، جاردن سيتي، هاتف: ٣٥٥٠٥٦٤، تلكس 93064 TEAM-UN

عمان: شارع الجاردينز - بناية الزهراء ص.ب.٣٢٢ تلاع العلي، هاتف: ٦٨٥٩٥٠، فاكس: ٦٨٥٩٤٩

بيروت: ص.ب. ٥٢٣٦-١٤، هاتف: ٣١٢٤٢٠، تلكس 23220 ARABI-LE



كتب الشمس

دار الفتى العربي
للنشر والتوزيع

كورنيش المزرعة، بناية الترك، ص.ب. ٥٢٣٦-١٤، بيروت، لبنان.